

الكلمة الطيّبة

أحمد القروي

680



الكلمة الطيّبة



أحمد القروي

الكلمة الطيبة

كَانَ السَّيِّدُ صَالِحٌ رَجُلاً فَاضِلاً نَزِيهًا قَضَى حَيَاتَهُ فِي خِدْمَةِ الصَّالِحِ العَامِّ وَأَحَبَّهُ النَّاسُ بِحَيْثُ كَانَ مَحَلَّ تَقْدِيرٍ مِنَ الكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالغَنِيِّ وَالفَقِيرِ . أَحَبَّهُ جَمِيعُهُمْ لِتَفَانِيهِ فِي عَمَلِهِ كَمَا أَحَبُّوهُ لِمَسَاعِيهِ المَشْكُورَةِ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِ البُؤَسَاءِ وَالعَمَلِ بِكُلِّ حَمَاسٍ فِي مُخْتَلَفِ المَشَارِيعِ الخَيْرِيَّةِ وَالمُؤَسَّسَاتِ الإِنْسَانِيَّةِ .

وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَمُوتَ السَّيِّدُ صَالِحٌ وَزَوْجَتُهُ فِي حَادِثِ سَيَّارَةٍ وَيُحْرَمَ ابْنُهُمَا الوَحِيدُ حَسَنٌ مِنْ حَنَانِهِمَا وَحَدَبِهِمَا (عَطْفِهِمَا) عَلَيْهِ وَقَدْ تَرَكَاهُ فِي الثَّانِيَةِ مِنْ عُمُرِهِ .

وَبِمَوْتِ السَّيِّدِ صَالِحٍ فُجِعَتْ مُخْتَلَفُ الأَوْسَاطِ فَبَكَاهُ وَالِدُهُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ طَوِيلاً كَمَا بَكَاهُ الفَقِيرُ الذِي فَقَدَ بِمَوْتِهِ المُوَاسِيَ وَالمُعِينَ وَبَكَاهُ الأَيْتَامُ وَالأَرَامِلُ الذِينَ بَنَى لَهُمُ المَآوِيَ وَحَفِظَهُمْ مِنَ التَّشَرُّدِ. نَعَمْ لَقَدْ بَكَاهُ جَمِيعُ هَؤُلاَءِ وَكَذَلِكَ أَصْدِقَاؤُهُ الذِينَ فَقَدُوا بِمَوْتِهِ السَّمِيرَ المُرْشِدَ الصَّدُوقَ وَالرَّجُلَ الشَّهْمَ البَشُوشَ وَالإِنْسَانَ المِثَالِيَّ .

اهْتَمَّ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ الاهْتِمَامَ كُلَّهُ بِتَرْبِيَةِ حَفِيدِهِ حَسَنٍ وَأَحَاطَهُ بِرِعَايَتِهِ فَأَدْخَلَهُ المَدْرَسَةَ وَحَبَّبَ إِلَيْهِ المُطَالَعَةَ

وَالدِّرَاسَةَ وَبَثَّ فِيهِ الأَخْلاَقَ الحَمِيدَةَ وَعَوَّدَهُ عَلَى فِعْلِ الخَيْرِ وَلَمْ يَأْلُ جُهْدًا (لَمْ يَبْخَلْ عَلَيْهِ) فِي اغْتِنَامِ كُلِّ مُنَاسَبَةٍ لِتَعْلِيمِ حَسَنٍ كُلَّ مَا يُفِيدُهُ فِي حَيَاتِهِ .

اعْتَادَ حَسَنٌ الجُلُوسَ إِلَى جَدِّهِ وَالاسْتِمَاعَ إِلَى مَوَاعِظِهِ المُفِيدَةِ وَكَلاَمِهِ العَذْبِ المَلِيءِ حِكَمًا . فَقَدِ اسْتَطَاعَ هَذَا الجَدُّ الحَكِيمُ بِمَا امْتَازَ بِهِ مِنْ أُسْلُوبٍ جَذَّابٍ وَغَزَارَةِ عِلْمٍ وَسُلُوكٍ مِثَالِيٍّ أَنْ يُحَبِّبَ جَمِيعَ النَّاسِ فِيهِ وَعَلَى الأَخَصِّ حَفِيدَهُ الذِي كَانَ يُفَضِّلُ قَضَاءَ أَوْقَاتِ فَرَاغِهِ بِالقُرْبِ مِنْهُ .

كَانَ حَسَنٌ يَسْتَوْضِحُ جَدَّهُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَكَانَ الجَدُّ بِدَوْرِهِ يَطِيبُ لَهُ أَنْ يَكُونَ حَفِيدُهُ طُلَعَةً (يُرِيدُ التَّعَرُّفَ عَلَى



كُلِّ شَيْءٍ) فَيُجِيبُهُ عَنْ أَسْئِلَتِهِ مُدَعِّمًا أَقْوَالَهُ بِالآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ تَارَةً وَبِالأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ وَأَقْوَالِ الحُكَمَاءِ وَالشُّعَرَاءِ طَوْرًا آخَرَ .

وَكَمْ كَانَ يَلَذُّ لِحَسَنٍ أَنْ يُحَدِّثَهُ النَّاسُ عَنْ أَبِيهِ فَقَدْ سَمِعَ عَنْهُ الكَثِيرَ مِنْ طَرَفِ جَدِّهِ وَحَتَّى مِنْ بَعْضِ الجِيرَانِ .

وَكَانَ يَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنَ الاعْتِزَازِ عِنْدَ سَمَاعِهِ لِمَا يُرْوَى عَنْ وَالِدِهِ مِنْ تَمْجِيدٍ لِأَعْمَالِهِ وَلِمَا يَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ سُمْعَةٍ طَيِّبَةٍ لاَ زَالَتْ تُذْكَرُ بِشَيْءٍ مِنَ الإِكْبَارِ . وَقَدِ ازْدَادَ حَسَنٌ اعْتِزَازًا عِنْدَمَا سَمِعَ ذَاتَ يَوْمٍ هٰذَا التَّمْجِيدَ مِنْ طَرَفِ مُعَلِّمِهِ بِالقِسْمِ . فَقَدْ كَانَ هٰذَا المُعَلِّمُ أَثْنَاءَ تَفْسِيرِهِ لِدُرُوسِ الأَخْلَاقِ وَعَلَى الأَخَصِّ عِنْدَ تَحَدُّثِهِ عَنِ الرِّجَالِ العَامِلِينَ بِإِخْلَاصٍ فِي سَبِيلِ



الصَّالِحِ العَامِّ يَذْكُرُ السَّيِّدَ صَالِحاً بِكُلِّ خَيْرٍ وَيَقُولُ فِي حَقِّهِ إِنَّهُ كَانَ الرَّجُلَ الذِي ضَحَّى بِجُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْ حَيَاتِهِ فِي خِدْمَةِ مُجْتَمَعِهِ وَعَمِلَ جُهْدَ المُسْتَطَاعِ لِلتَّخْفِيفِ مِنْ وَطْأَةِ البُؤْسِ عَنِ الأَيْتَامِ وَالأَرَامِلِ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُتَوَاضِعٌ كَرِيمُ النَّفْسِ بَشُوشٌ لاَ تُفَارِقُ الابْتِسَامَةُ مُحَيَّاهُ (وَجْهَهُ) وَلاَ تَصْدُرُ عَنْهُ إِلاَّ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ .

وَبَيْنَمَا كَانَ حَسَنٌ يَسْتَمِعُ لِهَذَا التَّحْلِيلِ مِنْ طَرَفِ مُعَلِّمِهِ بِكُلِّ انْتِبَاهٍ إِذَا بِهِ يُفَاجَأُ بِمُخَاطَبَةِ المُعَلِّمِ إِيَّاهُ قَائِلاً :

- وَبِودِّي يَا حَسَنُ لَوْ تَكُونُ مِثْلَ وَالِدِكَ

- ذَلِكَ مَا أَتَمَنَّاهُ يَا سَيِّدِي

- لَيْسَ ذَلِكَ بِالعَزِيزِ (بِالصَّعْبِ) وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الشَّاعِرَ

يَقُـــولُ :

إِنَّمَـا المَرْءُ حَـدِيثٌ بَعْـدَهُ   كُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

فَلَـوْ لَـمْ يَكُنْ وَالِدُكَ شَهْمًا لَمَا ذَكَرْتُهُ فِي سِيَاقِ حَدِيثِي عَنِ العَامِلِينَ المُخْلِصِينَ .

وَتَأَثَّـرَ حَسَنٌ لِهَـذِهِ الكَلِمَاتِ التِي زَادَتْهُ تَعَلُّقًا بِالأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ وَالأَعْمَالِ المُفِيـدَةِ وَرَجَـعَ إِلَى مَنْزِلِـهِ وَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ عَلاَمَـاتُ الابْتِهَـاجِ فَسَأَلَهُ جَـدُّهُ قَائِـلاً :

ـ يَبْـدُو لِي يَـا ابْنِي أَنَّـكَ مُبْتَهِجٌ فَهَلْ لِي أَنْ أَعْرِفَ السَّبَبَ

ـ إِنِّي لأَشْعُـرُ بِالسَّعَادَةِ تَغْمُـرُنِي وَإِنِّي لَفَخُـورٌ بِانْتِسَابِي لِوَالِـدِي وَلَـكَ يَـا جَدِّي .

ـ فَهَـلْ جَـدَّ جَدِيـدٌ يَا حَسَـنُ ؟...

ـ نَعَـمْ يَـا جَـدِّي لَقَـدْ سَمِعْتُ الكَثِيرَ عَنْ وَالِدِي اليَوْمَ خِلاَلَ الدَّرْسِ وَإِنِّي لَمَسْرُورٌ .

وَوَاصَلَ حَسَـنٌ يَقُصُّ عَـلَى جَدِّهِ كُلَّ مَا سَمِعَهُ مِنْ مُعَلِّمِـهِ فَتَنَهَّـدَ الجَـدُّ وَقَـالَ :

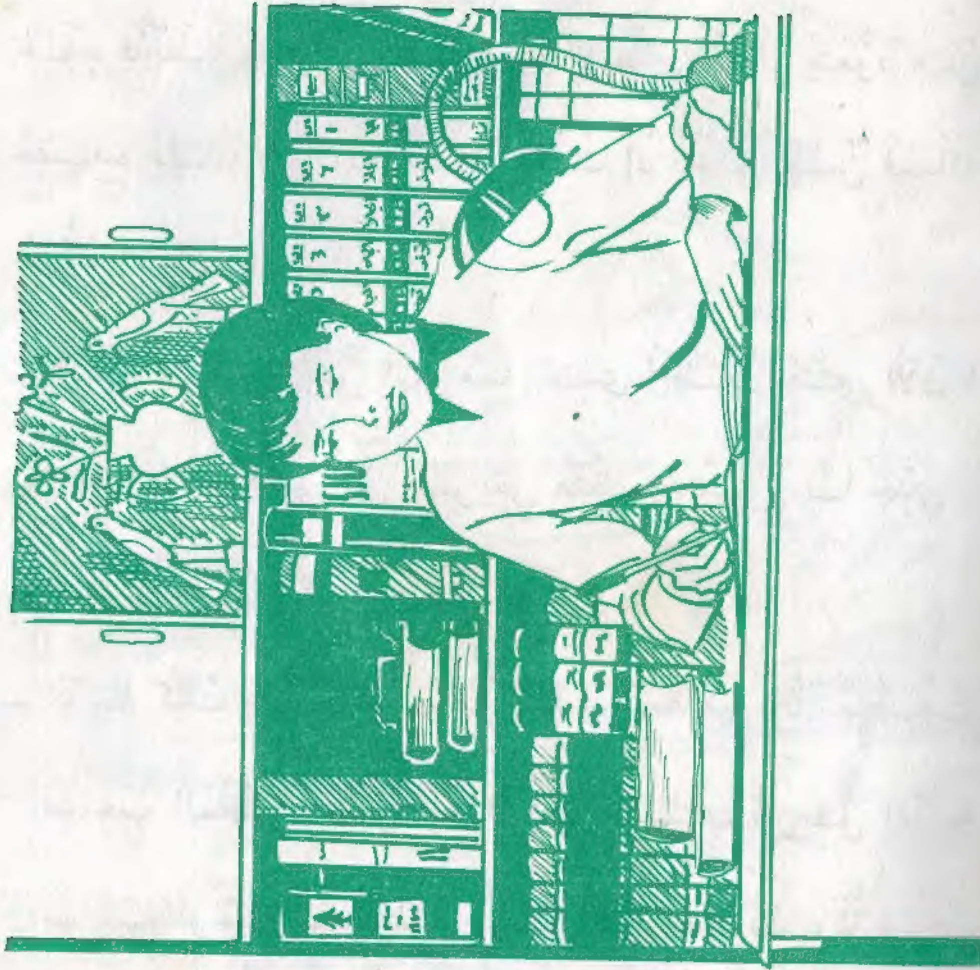
ـ حَقًّـا يَـا بُنَيَّ إِنَّ وَالِدَكَ مِثَالُ الكَمَالِ فَقَدْ كَانَ يَخْشَى اللَّهَ كَثِيرًا وَيُسْعِدُهُ أَنْ يَرَى الغَيْرَ سَعِيدًا

ـ وَهَـلْ فِـي إِمْكَـانِي أَنْ أَكُونَ يَوْمًا مَّا مِثْلَهُ ؟

ـ سَتَكُونُ مِثْلَـهُ بِحَـوْلِ اللّـهِ وَإِنِّي لأُلاَحِظُ عَلَيْكَ مِثْلَ الذِي لاَحَظْتُهُ عَلَى أَبِيكَ يَوْمَ كَانَ فِي سِنِّكَ .

ـ وَكَيْفَ ذَلِـكَ يَـا جَـدِّي ؟

ـ لَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ شَغُوفًا بِمَعْرِفَةِ أَخْبَارِ رِجَـالِ الإِصْلاَحِ





وَكَـانَ مِثْلُكَ يَنْهَالُ عَـلَيَّ بِالأَسْئِلَةِ وَلاَ يَهْـدَأُ لَهُ بَالٌ حَتَّى أُجِيبَهُ عَنْ جَمِيعِهَـا .

– إِذَنْ كَـانَ وَالِـدِي يُضَايِقُكَ مِثْلِي بِأَسْئِلَةٍ كَثِيـرَةٍ وَمُحْرِجَةٍ أَحْيَانًا ؟... حَقًّا إِنَّكَ لَرَجُلٌ صَبُورٌ .

– إِنَّ الوَاجِبَ يَفْرِضُ عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ هَكَذَا يَا بُنَيَّ . إِذْ مِنْ وَاجِبِ الأَبِ الإِرْشَادُ وَالرِّعَايَـةُ وَإِنَـارَةُ مُخْتَلَفِ السُّبُـلِ لأَبْنَائِـهِ حَتَّى لاَ يَحِيدُوا عَـنِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ . وَالـوَاجِبُ يَدْعُونِي الآنَ إِلَى أَنْ أَطْلُبَ مِنْكَ الذَّهَابَ لِغُرْفَتِكَ لإِعْدَادِ دُرُوسِكَ .

وَيَمْتَثِلُ حَسَـنٌ لأَمْرِ جَدِّهِ وَيَذْهَبُ لِغُرْفَتِهِ لِيُعِـدَّ دُرُوسَهُ ثُـمَّ يَنَـامَ .

وَفِي أَحَـدِ الأَيَّـامِ خَـرَجَ حَسَـنٌ لِقَضَاءِ لُبَانَةٍ (حَاجَةٍ)



لِجَدِّهِ فَأَبْطَأَ وَتَحَيَّرَ الجَدُّ لِهَذَا الإِبْطَاءِ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَعَوَّدْ مِنْ حَفِيدِهِ ذَلِكَ وَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ حَسَنٌ فَسَأَلَهُ جَدُّهُ قَائِلاً :

ـ أَيْنَ كُنْتَ يَا بُنَيَّ ؟... مَا الذِي أَبْطَأَكَ حَتَّى الآنَ ؟

ـ لَقَدْ اسْتَوْقَفَنِي فِي طَرِيقِي مَنْظَرٌ مُفْزِعٌ يَا جَدِّي .

ـ مَنْظَرٌ مُفْزِعٌ ؟!... وَمَا هُوَ ؟

ـ بَيْنَمَا كُنْتُ مَارًّا بِالقُرْبِ مِنْ إِحْدَى المَقَاهِي إِذْ شَاهَدْتُ صَاحِبَ المَقْهَى يَنْهَرُ طِفْلاً رَثَّ الثِّيَابِ هَزِيلَ البُنْيَةِ شَاحِبَ الوَجْهِ ثُمَّ رَأَيْتُهُ يَنْهَالُ عَلَيْهِ ضَرْبًا وَلَمَّا سَأَلْتُ أَحَدَ الحَاضِرِينَ عَنِ السَّبَبِ قَالَ لِي إِنَّ هَذَا الطِّفْلَ دَخَلَ المَقْهَى لِلتَّسَوُّلِ وَلَمْ يَرْتَكِبْ أَيَّ جُرْمٍ فَتَأَلَّمْتُ لِحَالِ

هَذَا المِسْكِينِ خُصُوصًا بَعْدَمَا عَلِمْتُ مِنْ خِلاَلِ حَدِيثِ الحَاضِرِينَ أَنَّهُ يَتِيمٌ وَأَنَّ صَاحِبَ المَقْهَى مَشْهُورٌ بِقَسَاوَةِ القَلْبِ مَعَ كُلِّ الذِينَ يَتَقَدَّمُونَ لِطَلَبِ الصَّدَقَةِ مِنْهُ أَوْ مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الزَّبَائِنِ (الحُرَفَاءِ) .

ـ لَقَدْ صَدَقْتَ يَا بُنَيَّ . حَقًّا إِنَّهُ لَمَنْظَرٌ مُفْزِعٌ

ـ قُلْ لِي بِرَبِّكَ يَا جَدِّي هَلْ يُجِيزُ دِينُنَا مِثْلَ هَذَا الصَّنِيعِ ؟

ـ بِالطَّبْعِ لاَ . وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ .

ـ وَمَا هِيَ عَاقِبَةُ أَمْثَالِ هَذَا الإِنْسَانِ عِنْدَ اللَّهِ ؟

ـ إِنْسَانٌ ؟!... لاَ يَا بُنَيَّ لَيْسَ هَذَا بِإِنْسَانٍ وَلَكِنَّهُ وَحْشٌ ضَارٍ إِذْ خَلَتْ نَفْسُهُ مِنَ المُرُوءَةِ وَالشَّهَامَةِ . إِنَّ هَذَا

الرَّجُلَ الذِي وَصَفْتَهُ لِي لاَ يَعْبَأُ بِآلاَمِ النَّاسِ وَلاَ يَكْتَرِثُ لِمَصَائِبِهِمْ . إِنَّهُ فَظٌّ غَلِيظٌ .

ـ وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟

ـ إِنَّ الرَّجُلَ الحَقَّ هُوَ الذِي تُؤَثِّرُ فِي نَفْسِهِ مَنَاظِرُ البُؤْسِ أَمَّا هَذَا فَإِنَّ قَلْبَهُ قُدَّ (صُنِعَ) مِنْ حَجَرٍ . إِنَّ الإِنْسَانَ الحَقَّ هُوَ الذِي يُفَكِّرُ فِي الآخَرِينَ وَيُحَاسِبُ نَفْسَهُ عَمَّا أَحْسَنَ أَوْ تَصَدَّقَ .

ـ وَلَكِنَّكَ يَا جَدِّي لَمْ تُجِبْنِي عَنْ سُؤَالِي . أُرِيدُ أَنْ أَعْرِفَ حُكْمَ اللَّهِ وَنَبِيِّهِ !

ـ إِنَّ أَمْثَالَ هَؤُلاَءِ يُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ

ـ وَلِمَاذَا ؟... إِنِّي لَمْ أَفْهَمْ .

- أَلَسْتَ حَافِظًا لِسُورَةِ المَاعُونِ ؟... أَلَمْ يَقُلْ عَزَّ وَجَلَّ :

أَرَأَيْتَ الذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ؟ فَذَلِكَ الذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ الذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ

- وَمَا المُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى يَدُعُّ اليَتِيمَ ؟ أَرْجُوكَ يَا جَدِّي أَنْ تُوَضِّحَ لِي السُّورَةَ فِي إِجْمَالٍ .

- إِنَّكَ كَالعَادَةِ حَرِيصٌ عَلَى الفَهْمِ الصَّحِيحِ وَإِنِّي لأَشْكُرُكَ عَلَى هَذِهِ العِنَايَةِ بِأُمُورِ دِينِكَ . إِنْتَبِهْ لِي يَا بُنَيَّ .

- كُلِّي آذَانٌ صَاغِيَةٌ .

- لَقَدِ اعْتَبَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الشَّخْصَ الذِي يَقْسُو عَلَى اليَتِيمِ مُكَذِّبٌ بِالدِّينِ إِذْ لَمْ يَعْمَلْ لَهُ حِسَابًا . فَإِنْ رَأَيْتَ يَا بُنَيَّ

إِنْسَانًا يَزْجُرُ يَتِيمًا وَيَنْهَرُهُ وَيَشْتُمُهُ بِلاَ ذَنْبٍ جَنَاهُ وَلَمْ يَكُنْ قَصْدُهُ تَأْدِيبَهُ أَوْ تَرْبِيَتَهُ فَاعْلَمْ أَنَّ إِيمَانَهُ مُزَيَّفٌ إِذْ لَوْ كَانَ مُؤْمِنًا صَادِقَ الإِيمَانِ لَعَلِمَ أَنَّ هَذَا الطِّفْلَ الذِي فَقَدَ أَبَاهُ وَحُرِمَ مِمَّنْ كَانَ يَرْعَاهُ وَيَحْنُو عَلَيْهِ وَيَسْعَى لِرَاحَتِهِ وَيَبْذُلُ كُلَّ عَزِيزٍ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِهِ هُوَ أَوْلَى بِالرِّعَايَةِ وَالعَطْفِ .

- وَإِذَا كَانَ هَذَا الطِّفْلُ أَحْمَقَ ؟

- يُمْكِنُ رَدْعُهُ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ . لاَ تَنْسَ يَا بُنَيَّ أَنَّ اليَتِيمَ يَشْعُرُ بِالوِحْدَةِ وَلِذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَهُ بِالكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ التِي تَسْلُو بِهَا نَفْسُهُ فَيَنْسَى وَلَوْ لِحِينٍ وِحْدَتَهُ وَيَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ أَبْدَلَهُ مِنْ أَبِيهِ أَبًا كَرِيمًا .

ـ مَا أَكْرَمَكَ يَا رَبِّي وَمَا أَرْحَمَكَ بِعِبَادِكَ . حَسَنًا وَاصِلْ يَا جَدِّي حَتَّى أَفْهَمَ البَقِيَّةَ .

ـ كَذَلِكَ اعْتَبَرَ مِنَ المُكَذِّبِينَ بِالدِّينِ البَخِيلُ الذِي لاَ يَحُثُّ غَيْرَهُ وَلاَ يَحُثُّ نَفْسَهُ عَلَى إِطْعَامِ المَسَاكِينِ كَمَا اعْتَبَرَ عَزَّ وَجَلَّ السَّهْوَ عَنِ الصَّلاَةِ وَالمُرَاءَاةَ وَمَنْعَ المَعُونَاتِ كَذَلِكَ مِنَ التَّكْذِيبِ بِالدِّينِ فَالوَيْلُ لِكُلِّ مُنَافِقٍ لاَ يُخْلِصُ لِلَّهِ فِي عَمَلِهِ وَلاَ يُصْدِرُهُ عَنْ نِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَطَوِيَّةٍ صَادِقَةٍ .

ـ وَلِمَاذَا ذُكِرَتِ الصَّلاَةُ مُقْتَرِنَةً بِمَوْضُوعِ اليَتِيمِ ؟

ـ أَحْسَنْتَ يَا بُنَيَّ . حَقًّا إِنَّهُ لَسُؤَالٌ يُنْبِىءُ عَنْ فِطْنَتِكَ وَذَكَائِكَ . إِنَّكَ تَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ الصَّلاَةَ الصَّحِيحَةَ هِيَ التِي تَنْهَى صَاحِبَهَا عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَأَنَّ الذِي



لاَ تَنْهَاهُ صَلاَتُهُ عَنْ إِيذَاءِ اليَتِيمِ وَالبُخْلِ عَلَى المَسَاكِينِ لَمْ تُفِدْهُ صَلاَتُهُ الفَائِدَةَ المَرْجُوَّةَ (المُنْتَظَرَةَ) وَغَايَةُ مَا فِي الأَمْرِ أَنَّهُ أَجْهَدَ نَفْسَهُ فِي حَرَكَاتٍ تَقْلِيدِيَّةٍ وَأَقْوَالٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِأَعْمَاقِ نَفْسِهِ . فَهَذِهِ الصَّلاَةُ كَالشَّبَحِ الذِي لاَ رُوحَ فِيهِ فَلاَ تَجْلِبُ خَيْرًا وَلاَ تَدْفَعُ شَرًّا وَإِنَّ القَائِمَ بِهَا يُرَائِي النَّاسَ وَيَمْنَعُ كُلَّ مُسَاعَدَةٍ لِلْغَيْرِ .

- أَحْسَنْتَ يَا جَدِّي لَقَدْ فَهِمْتُ الآنَ السُّورَةَ وَإِنَّ دِينَنَا حَقًّا لَمُهْتَمٌّ بِقَضِيَّةِ الفُقَرَاءِ .

- لَقَدِ اعْتَنَى الدِّينُ الحَنِيفُ بِالبُؤَسَاءِ وَرَغَّبَ المُؤْمِنِينَ فِي مُسَاعَدَتِهِمْ وَإِغَاثَةِ المَلْهُوفِينَ . وَحَذَّرَ مِنَ البُخْلِ فِي العَدِيدِ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيثِ .

- زِدْنِي بِرَبِّكَ يَا جَدِّي ... إِنِّي لأَطْرَبُ عِنْدَ سَمَاعِي لِمِثْلِ هَذَا الحَدِيثِ .

- حَقًّا لَقَدْ لَمَسْتُ مِنْكَ اهْتِمَامًا مُتَزَايِدًا بِشُؤُونِ الأَخْلاَقِ هَذِهِ الأَيَّامِ وَلَمْ أَعْرِفْ لِحَدِّ الآنَ الأَسْبَابَ التِي جَعَلَتْكَ فِي مِثْلِ هَذَا الشَّغَفِ .

- لَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ بِمُعَلِّمٍ حَبَّبَ إِلَيْنَا الدِّينَ وَأَقْنَعَنَا بِأَنَّ القُرْآنَ كَنْزٌ جَمَعَ فَأَوْعَى .

- إِنَّهُ لَكَلاَمُ اللَّهِ وَإِنَّهُ لَحَقًّا نِعْمَ الكَنْزُ إِذْ عَالَجَ كُلَّ القَضَايَا الإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالأَخْلاَقِيَّةِ وَغَيْرِهَا كَمَا أَنَّ حَدِيثَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَاخِرٌ بِكُلِّ طَرِيفٍ .

- أَفِيهِ مَا فِي القُرْآنِ يَا جَدِّي ؟

- إِنَّهُ مُكَمِّلٌ لَهُ وَشَارِحٌ لِغَوَامِضِهِ وَالرَّسُولُ لاَ يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى (حَسْبَ شَهْوَتِهِ) بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : لاَ يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى .

- لَقَدْ قَالَ لَنَا مُعَلِّمُنَا هَذَا وَلَكِنِّي أَرَدْتُ زِيَادَةَ التَّأَكُّدِ مِنَ المَوْضُوعِ كَمَا قَالَ لَنَا إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَتُنَا الحَسَنَةُ .

- بَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي مُعَلِّمِكُمْ وَكَثَّرَ مِنْ أَمْثَالِهِ . حَقًّا يَا بُنَيَّ إِن الرَّسُولَ الأَعْظَمَ لَخَيْرُ مَنْ يُقْتَدَى بِهِ وَلَقَدِ امْتَدَحَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ : وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ . كَمَا حَرَّضَنَا اللَّهُ عَلَى التَّخَلُّقِ بِأَخْلاَقِهِ فِي قَوْلِهِ . وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ .

- وَهَلْ تَسْتَحْضِرُ بَعْضَ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ بِالفُقَرَاءِ ؟

- الكَثِيرَ يَا بُنَيَّ

- مَتِّعْنِي إِذَنْ بِبَعْضِهَا

- لَقَدِ اعْتَبَرَ الرَّسُولُ الإِنْسَانَ الذِي لاَ يَرْحَمُ جَارَهُ غَيْرَ مُؤْمِنٍ فَقَالَ : لَيْسَ بِالمُؤْمِنِ الذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ .

- وَهَلِ الأَمْرُ خَاصٌّ بِالجَارِ يَا جَدِّي ؟...

- لاَ يَا بُنَيَّ فَإِنَّ إِغَاثَةَ المَلْهُوفِ مِنَ الأَخْلاَقِ الفَاضِلَةِ وَلَقَدْ حَرَّضَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي العَدِيدِ مِنَ الأَحَادِيثِ عَلَى الرَّحْمَةِ وَالمُسَاعَدَةِ فَقَالَ : مَنْ لاَ يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ كَمَا قَالَ : مَنْ فَرَّجَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا

سَتَرَهُ اللَّـهُ فِي الدُّنْيَـا وَالآخِـرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا دَامَ العَبْـدُ فِـي عَـوْنِ أَخِيـهِ .

ـ أَلَيْسَ يُفْهَـمُ مِـنْ هَـذَا الحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ يُحَـرِّضُ عَـلَى المُسَاعَدَةِ المُطْلَقَـةِ لاَ عَـلَى الصَّدَقَةِ فَقَطْ ؟...

ـ وَهْـوَ كَذَلِـكَ . لَقَـدْ كَـانَ نَبِيُّنَا يَا بُنَيَّ يَقْرِي الضَّيْفَ وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ وَيُوصِي أَتْبَاعَهُ بِالرَّحْمَـةِ بِالضُّعَفَاءِ فَقَدْ قَـالَ عَلَيْـهِ السَّلاَمُ : مَنْ كَسَى مُسْلِمًا ثَوْبـًا عَلَى عُـرْيٍ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ وَمَنْ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَـهُ اللَّهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ وَمَنْ سَقَى مُسْلِمًا عَـلَى ضَمَـإٍ سَقَـاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُومِ .

ـ وَهَـلْ لاَ تَكُـونُ المُسَاعَدَةُ إِلاَّ لِلْمُسْلِـمِ يَـا جَـدِّي ؟

ـ إِنَّ الأَقْرَبِيـنَ أَوْلَـى بِالمَعْـرُوفِ وَإِنَّ المُسَـاعَدَةَ التِـي تُطْلَبُ مِنَّـا يَجِبُ تَقْدِيمُهَا لِكُـلِّ مَـنْ يَسْتَحِقُّهَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَـنْ دِينِـهِ أَوْ جِنْسِـهِ أَوْ لَوْنِـهِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : تَصَدَّقُوا عَلَى أَهْلِ الأَدْيَانِ كُلِّهَا .

ـ وَإِذَا قُدِّمَتِ الصَّدَقَـاتُ أَوِ المُسَاعَدَاتُ لِمَـنْ لاَ يَسْتَحِقُّهَا ؟

ـ الأَصْلُ فِي الصَّدَقَاتِ أَنْ تُقَدَّمَ لِمُسْتَحِقِّيهَا وَإِذَا مَـا غَـالَطَكَ إِنْسَانٌ بِمَظْهَرِهِ فَقَدَّمْتَ لَـهُ مَعُونَتَـكَ اعْتِقَادًا مِنْكَ أَنَّهُ مِـنَ المَعْوِزِينَ فَإِنَّ الثَّوَابَ حَاصِلٌ لَكَ لِأَنَّ الشَّرْعَ يَحْكُـمُ بِالظَّاهِرِ وَاللَّهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ .

ـ كُنْتُ يَا جَدِّي قَدَّمْتُ صَدَقَةً لِأَحَدِ المُتَسَوِّلِينَ فَقِيـلَ لِي إِنَّـهُ يَتَظَاهَـرُ بِالفَقْـرِ فَنَدِمْتُ عَمَّـا فَعَلْتُ فَهَـلْ كَـانَ مَوْقِفِي

مَرْضِيًّا ؟...

ـ لاَ يَـا بُنَـيَّ أَرَاكَ ارْتَكَبْتَ هَفْـوَتَيْـنِ .

ـ أَخْطَـأْتُ ؟!... وَكَيْفَ ذَلِـكَ ؟

ـ غَلْطَتُكَ الأُولَى هِيَ ذِكْـرُكَ لِهَـذِهِ الصَّدَقَةِ التِي قُمْتَ بِهَـا وَالثَّانِيَـةُ نَدَمُـكَ عَمَّـا قُمْتَ بِهِ مِـنْ عَمَلٍ .

ـ إِنِّي لَمْ أَفْهَمْ قَصْدَكَ يَا جَدِّي

ـ إِعْلَـمْ يَـا بُنَيَّ أَنَّ اللَّهُ تَعَالَى قَـالَ : وَلاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَـنِّ وَالأَذَى . وَإِنَّ ذِكْـرَكَ لِمَـا قُمْتَ بِهِ مِـنْ إِحْسَانٍ أَمَامَ النَّاسِ يُعَدُّ مِنَ المَنِّ وَفِي المَنِّ إِذَايَةٌ لِلْمُتَصَدَّقِ عَلَيْهِ وَلِزِيَادَةِ الإِيضَاحِ أَسْـأَلُكَ سُـؤَالاً وَاحِدًا .

ـ وَمَـا هُـوَ يَـا جَـدِّي ؟



- إِنَّكَ بِلاَ شَكٍّ تَحْتَاجُ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ وَأَنْتَ بِفَضْلِ الدِّرَاسَةِ إِلَى مِكْشَطٍ (مِمْحَاةٍ) أَوْ مِسْطَرَةٍ أَوْ بِرْكَارٍ (فِرْجَارٍ) فَتَسْتَعِيرُ ذَلِكَ مِنْ أَحَدِ رِفَاقِكَ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

- نَعَمْ .

- فَهَلْ تَرْضَى أَنْ يَذْكُرَ زَمِيلُكَ هَذَا إِلَى بَقِيَّةِ تَلاَمِذَةِ القِسْمِ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يُعِيرُكَ أَدَوَاتِهِ .

- لاَ ... إِنَّ هَذَا يُضَايِقُنِي خُصُوصًا إِذَا وَقَعَ أَمَامَ رِفَاقِي

- إِذَنْ فَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ هَذَا الذِي يُضَايِقُكَ إِنَّمَا هُوَ المَنُّ (ذِكْرُ المَزَايَا) وَالمَنُّ كَمَا رَأَيْتَ يُؤْذِي وَهُوَ يَحْبِطُ الأَعْمَالَ (يُبْطِلُهَا وَيُفْسِدُهَا) وَيُغْضِبُ الرَّبَّ .

- لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ هَذَا وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَلِكَ .

- ثُمَّ إِيَّاكَ يَا بُنَيَّ أَنْ تَنْدَمَ عَنْ مَعْرُوفٍ تُقَدِّمُهُ فَلَقَدْ قَالَ تَعَالَى : وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا .

- سَوْفَ أَكُونُ عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّكَ بِي يَا جَدِّي .

- نَعَمْ يَا بُنَيَّ كُنْ مِثْلَ وَالِدِكَ وَاجْعَلِ السَّخَاءَ شِيمَتَكَ وَارْفَقْ بِالفَقِيرِ وَلاَ تَكُنْ مِثْلَ ذَلِكَ الذِي تَقَعُ أَمَامَهُ مِنَ الحَوَادِثِ مَا يُؤْلِمُ القَلْبَ وَيُدْمِي العُيُونَ وَهُوَ لاَ يَتَأَثَّرُ وَلاَ يَلِينُ وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ رَسُولَنَا عَلَيْهِ السَّلاَمُ قَالَ : إِنَّ السَّخِيَّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنَ الجَنَّةِ بَعِيدٌ عَنِ النَّارِ وَإِنَّ البَخِيلَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنَ الجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ .

- بَقِيَ سُؤَالٌ وَاحِدٌ يَا جَدِّي.

ـ هَـاتِ مَـا عِنْـدَكَ .

ـ لَوْ تَقَـدَّمَ مِنِّي سَائِـلٌ وَكُنْتُ لاَ أَمْلِكُ مَعِي شَيْئًا مَاذَا أَفْعَلُ ؟

ـ رُدَّهُ بِالمَعْرُوفِ وَلاَ تَنْهَـرْهُ وَقُـلْ لَهُ كَلِمَـةً طَيِّبَةً تُكْتَبْ لَكَ صَدَقَـةً .

ـ وَكَيْفَ ذَلِـكَ ؟

ـ الدِّينُ يُسْـرٌ يَـا بُنَيَّ وَمَبَـادِي الدِّينِ تَرْمِي إِلَى أَنْ يَسُودَ الوِئَـامُ وَالإِخَاءُ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى يُحِبَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا لِأَخِيـهِ المُسْلِمِ مَـا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَلَقَـدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : اِتَّقِ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ (قِطْعَةِ) تَمْرَةٍ كَمَا قَالَ : الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ .

ـ مَـا أَحْلَى هَـذَا الكَـلاَمِ ... أَبْقَـاكَ اللَّهُ يَا جَدِّي إِنِّي وَاللَّـهِ لَأَشْعُـرُ أَنِّي ازْدَدْتُ حُبًّـا لِلْفُقَـرَاءِ وَسَوْفَ أَشِبُّ عَلَى حُبِّهِمْ

وَسَأَكُونُ يَوْمًـا مَّـا بِحَوْلِ اللَّـهِ مِثْلَ أَبِي عُضْوًا عَامِلاً فِي المَشَارِيعِ الخَيْرِيَّةِ

وَنَهَضَ حَسَنٌ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَبَّلَ جَـدَّهُ ثُمَّ قَصَدَ غُرْفَتَهُ وَهُوَ يُـرَدِّدُ حَـدِيثَ الـرَّسُولِ :

الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ... الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ...



سلسلة

وإنما الأمم الأخلاق

1	ـ لولا المهدي	طبع
2	ـ الزوجة الماكرة	طبع
3	ـ قرين السوء	معد للطبع
4	ـ الاسرة السعيدة	معد للطبع
5	ـ صلة الرحم	معد للطبع
6	ـ ذو الوجهين	معد للطبع
8	ـ الظلم ظلمات	معد للطبع
9	ـ العمل المثمر	معد للطبع
10	ـ المسلم اخو المسلم	معد للطبع

طبع ونشر مطبعة تونس قرطاج